

ثورة الشباب ضد الأوليغارشيات

محمد بنعزير*

فيما تحاول بعض وسائل الإعلام جعل مباراة المغرب ضد الجزائر في كرة القدم في مقدمة اهتمامات الرأي العام، تستمر المتابعة المكثفة لأخبار الثورة في العالم العربي. تبادل التعليقات عن القذافي أكثر منه على نجوم كرة القدم، رغم أن كرة القدم بين الجارين قد صبغت دائماً بطابع سياسي. على قناة بي سي العربية - التي استفادت من التشويش على قناتي الجزيرة والعربية - كان المحتجون يتجهون إلى ما يسمى المرفأ المالي في المنامة. في الطريق، سدّد شرطي على رأس رجل يفصله عنه أقل من متر، وقع الرجل الذي يرتدي قميصاً أحمر أرضاً.

الصورة أجملت الوضع. غادرت المقهى وأنا أردد ما كتبه البحرانيان قاسم حداد وأمين صالح «نحن أفراد نرى الهاوية أمامنا فاغرة الأشداق».

كانت هذه النبوءة قبيل تصدير الشرطة السعودية إلى البحرين. وكانت ليبيا تعيش حرباً أهلية تفتح الطريق لتدخل خارجي... هل ثمة ثورات من دون دماء؟ ومن هو الثوري؟

في المغرب، جرى هذا التميرين وفصل الربيع على الأبواب. تمرين لم ينته بعد، فرغم الخطاب الملكي الذي وعد بتعديل كبير في الدستور وفصل السلطات بعد الصيف، لا تتوقف الوقفات والمسيرات. صحيح أن الخارجيين في تلك المسيرات بضع مئات، لكنها ممتدة أفقياً وعمودياً، في المكان والزمان. في كل المدن، وبوتيرة مستمرة. وبما أن تدخلات الشرطة غير مبررة غالباً، فإن ذلك يدفع مواطنين آخرين للانضمام إلى الاحتجاج، ولهذا نتائج. ففي ضربة واحدة، حقق الشباب الداعون إلى الاحتجاج ما ناضلت من أجله المعارضة في المغرب منذ نصف قرن، وتحديدًا منذ 1960.

من تلك النتائج، إطلاق سراح برلماني إسلامي قضى شهراً مجاناً في السجن، إعلان مشروع تعديل دستور سينص على فصل السلطات، وبدأ الملك بسحب استثماراته في قطاعات السكر

والزيت والحليب والبنوك والمتاجر الكبرى. وبعد سنوات في السجن، أعلن إطلاق كل المعتقلين السياسيين، ولا سيما المعتقلين السياسيين في ملف بلعيرج، وهم المصطفى المعتصم والأمين الركالة عن حزب البديل الحضاري، ومحمد المرواني عن حزب الأمة، وعبد الحفيظ السريتي مراسل قناة المنار في المغرب. من بينهم كذلك، شيوخ السلفية الجهادية، ومجموعة «التامك ومن معه»، وهم نشطاء صحراويون زاروا الجزائر وتندفون حيث قيادة البوليساريو وحوكموا جنائياً. الغريب تأخير إطلاق سراحهم، لأن التسريب أفسد المفاجأة، لذا سيمكثون في السجن بضعة أيام أو أسابيع.

في إعلام الدولة، الذي لا يُسرب، ثمة حالة طوارئ. مطلوب التكيف بسرعة، لكن واضح أن مديري قنوات تلفزيون الدولة، الذين تعودوا التصرف وفق المكالمات التلفونية التي يتلقونها، عاجزون عن تزييت الاتهام، والنتيجة أنهم لا يتمكنون من إدخال اللحظة التاريخية في كادرات كاميراتهم، لأنهم يوظفون صحافيين ومخرجين غير ميسبين. كل شخص مستيس أبعد، بقي فنانون هزليون سطحيون، لا يستطيعون مواكبة مزاج الثورة. عليهم أن يدركوا أن برامج النجوم تتراجع. فمسلسل هيفاء وهبي أجل، عادل إمام وسمية خشاب خفضاً أجرهما، تامر حسني يبكي وهذا يفضح كم بذل من مال وجهد لخلق نجوم التسلية وتمديد حالة الاسترخاء السياسي. ذلك الاسترخاء الذي وضع في الواجهة الإعلامية مسابقات الرقص والغناء ومهرجانات التفاهة وشويعر المليون... ويبدو أن الحكام قد صدقوا فاعلية هذه الخطة، حتى أنه من فرط تبني التسلية، كان حسني مبارك يقول لمعاونيه عن الشباب في ميدان التحرير «دعهم يتسلوا». فقط حين تنادى الشباب إلى الزحف نحو القصر الرئاسي، أدرك الرئيس أن الأمر جدّ لا هزل. الملك عبد الله لم يفهم بعد، الشعب السعودي يريد الإصلاح وهو يلوح بالبيتروبول. الآن، في عصر الثورة، لا مجال للرشوة العامة والعنصرية للشعوب، ولا حل



متظاهرتان في الرباط امس (ادم تانر - رويترز)

“

صار المواطن يرى نفسه والحاكم على قدم المساواة، ما دمر التراتبية الذهنية التي تأسست عليها الطاعة والولاء

“

بوليسياً للثورات المدججة بوسائل الإعلام، علي عبد الله صالح لم يفهم هذا بعد. لقد سعد نجوم جدد إلى الخشنة الإعلامية، إنهم الثوار الشباب الذين يقودون العالم العربي في انعطافة تاريخية غير مسبوقة. ما سبب هذه الانعطافة؟ الفقر والفساد والعنف لتحقيق الانتقاد السياسي، هذا جواب غير كاف. العامل الاقتصادي ليس سبباً أولياً، فقمعنا لم يبدأ البحارحة. هذه إذن أسباب لم تظهر في الأشهر الأولى من 2011، وبالتالي فهي لا تقدم تفسيراً لما يجري. وهذا تحد كبير للمراقب الذي يطمئن إلى شبكة مفاهيم لقراءة الواقع. شبكة

تمكّنه، كلما لاحظ حدثاً، أن ينتقي مفهوماً يحلل به الوضع، ثم يختم بثقة. ما يجري هو نهاية الاسترخاء السياسي الذي مكّن الأوليغارشيات الحاكمة في العالم العربي من السيطرة المطلقة على السياسة والاقتصاد والإعلام. سيطرة أثمرت ثقة مطلقة، صارت غروراً ثم غطرسة، تستهين بكل الأخلاق والقوانين التي تعاهد عليها البشر لبناء المجتمعات الإنسانية. غطرسة قطعت صلة تلك الأوليغارشية بالواقع، فصارت تبذر الملايير بمتعة لا يعكرها بؤس البشر. غطرسة قادت أصحابها نحو حتفهم.

السبب هو المزاج الثوري المهيم في اللحظة الراهنة من المحيط إلى الخليج. يقول هنري كيسنجر، عدو الثورات، إن «الثوريون دائماً يبدأون مشوارهم من موقع قوة هامشي، وهم يهيمنون لأن النظام القائم أعجز عن المحافظة على نفسه من الضربات» («تاريخ الدبلوماسية» ص 169).

احترق البوعزيزي في قرية هامشية، وقد كانت الانطلاقة فعالة، لأن نظام بن علي كان منحوراً أخلاقياً، وقد توافقت ذلك مع مزاج تونسي تواق للتغيير. «التاريخ يتطور حين يتعفن» وفق كارل ماركس، والعالم العربي لم يترك عفونة إلا

لصلاحياتهما. أما المعارضات الجديدة، فهي على أهميتها وارتفاع سقف مطالبها وحركتها عن المعارضة التقليدية، لا تزال بعيدة، إلى حد ما، عن صعب الموضوع ومحوره الأساسي، وتركز على المظاهر لا على السبب.

ليس في نيتي الخوض في تفاصيل مطلبية هامشية، ولا الخوض في مفاصل ونهب وسلب ارتكبتها فلان أو فلان، ما يهمني هو نقد التركيبة السياسية في الأردن والخلوص من هذا النقد لأمر محدد، هو المفصل الأساسي للتغيير. المشكلة السياسية في الأردن هي مشكلة هيكلية كلية، لا تكمن في الجزئيات مثل قضايا الفساد المالي والانهيار الأخلاقي، الذي طال أشخاص وزراء ورؤساء وزارات، بل هي أعمق بكثير. وهي تتمثل في كون منظومتنا السياسية تقوم على مفاهيم عفا عليها الزمن منذ القرن التاسع عشر: ملكية مطلقة تدور في فلكها أجزاء النظام والدولة والسياسة والإدارة والقضاء والأمن والجيش وكل شيء، وبنيت آليات عملها على أساس الوصولية والانتفاع والمحسوبية والحصول على أنواع المكافآت، حتى غاب الولاء للشعب وخدمة الناس.

المشكلة الرئيسية هي أن الإرادة الملكية مطلقة تدور في فلكها كل الإرادات الأخرى، لا مجال فيها لأي فصل حقيقي أو ذي معنى. وتنتج من المشكلة الرئيسية هذه مشاكل أخرى، بعضها يتجسد في نصوص الدستور والقانون.

فالمادة 26 من الدستور تقول: «تخاط السلطة التنفيذية بالملك ويتولاها بواسطة وزرائه»، والمادة 35 تقول إن الملك يعين رئيس الوزراء ويقبله ويقبل استقالته ويعين الوزراء ويقبلهم ويقبل استقالاتهم بناءً على تنسيب رئيس الوزراء. وتقول المادة 98 «يعين قضاة المحاكم النظامية والشرعية ويعزلون بإرادة ملكية»، وتعطي المادة 34 من الدستور الملك حقاً مطلقاً في إصدار الأوامر بإجراء الانتخابات النيابية

والاقتصادي. كان هذا الوضع يدفع للتشاؤم والإحباط واليأس، خصوصاً في ظل غياب قوى سياسية قادرة على حشد الناس خلف برنامجها، وقادرة على النضال المبدئي لتحقيق ذلك البرنامج. لكن النخب الشبابية، التي برزت في تونس ثم في مصر ورفعت صوتها بالتغيير الجذري الكامل المتمثل بإطاحة النظام الحاكم وعده نظاماً غير شرعي لا يمثل الناس، أعادت إنتاج مرحلتنا التاريخية وقراءتنا عنها كلياً. أثبتت الانتفاضات الشعبية أن الشارع العربي ليس شارعاً ميتاً، كما كنا نظن في خصم اليأس والإحباط من قدرتنا على إنجاز التغييرات

“

إن الحكومة في الأردن ليست «النظام» على حقيقته، بل هي مجرد واجهة تقف عازلاً بين الناس والخطوط الحمراء

“

الجذرية والكاملة. كذلك أثبتت أن الجماهير العربية تتشارك في آمال وطموحات واحدة، وذات سقف مبدئي واحد.

لماذا لم نفهم هذا في الأردن؟ لم تفارق المعارضة التقليدية خمولها، منذ خروجها إلى العلن عام 1989. ولا تزال تدور في فلك مطالب ضئيلة وضبابية، تتمثل بإصلاح سياسي مبهم، والسماح بالمهرجانات والنظائرات، وتعديل قانون الانتخابات، وكان المشكلة هي حرمان بعضهم من مقاعد الحكم أو البرلمان، وكان لهذين وزناً في سياق التخريب والسلب المتعمدين

الأردن: في أساس التغيير

يعقوب زيادين*

مرّت الأيام ولن تعود. وأظن أتذكر أنني ولدت مع ولادة إمارة شرق الأردن في 1921 على يد الاستعمار، وقبلها لم تكن الإمارة ولم تكن الدولة، وكانت المنطقة المسماة بلاد الشام حالة اجتماعية واقتصادية واحدة. تلك الأيام، لم يكن عدد السكان يتجاوز الربع مليون نسمة، تنتشر فيها الأمية، وتحترف الرعي والزراعة، وفيها مدينتان أساسيتان هما السلط والكرك تتبعان دمشق.

مرت الأيام، ولم تبق الحال كما كانت، لكن الشهامة والنبيل والقيم الحقيقية في الحرية والتحرر والوحدة، ظلت هي الناظم الأساسي لتفكير الناس. فمن مواجهة الحاكم العثماني إبراهيم باشا، الذي رغب بالاستحواذ على قلعة الكرك عام 1845، إلى حرب قدر المجالي ضد ظلم العثمانيين عام 1910، إلى مؤتمر 1928 الذي انعقد بشيوخ عشائر قليل منهم كان يقرأ ويكتب، لكنهم أصدروا قرارات وطنية شجاعة. ولم ينس الناس هنا، المعارك التي خاضها العراقيون والسوريون والجزائريون، في مواجهة

الاستعماريين الفرنسي والبريطاني والتحموا بها مادياً ومعنوياً، كما التحموا في النضال ضد المشروع الصهيوني وعدوا ما سمي لاحقاً «القضية الفلسطينية» قضيتهم الأساسية.

وخاض الشعب بتنظيماته التقدمية نضالات من أجل إنهاء المعاهدة الأردنية - البريطانية، وإزاحة القيادة البريطانية عن الجيش وتعريب تلك القيادة. كما خاض النضالات ضد حلف بغداد، وضد التبعية، وامتلات المعتقلات في تلك الفترة (فترة الخمسينيات والستينيات) بالمناضلين. كان النضال جذرياً ومبدئياً وواضحاً لا مناورة فيه. كان ذلك في الماضي. أنا الآن في أوائل العقد التاسع من عمري، أرى التحولات الثورية وانتفاضات الشعوب العربية، وأرى ما يحصل في الأردن.

يكثر الحديث اليوم، عن الغنى الفاحش لدى القلة والفقر الساحق للأغلبية. ويكثر الحديث عن البطالة والجوع وغلاء الأسعار وارتفاع الضرائب وانعدام إمكانيات الحصول على المعالجة الصحية، إضافة إلى النذل والإهانة التي تمارس على الناس، والتبعية والإحراق بالقوى الدولية في ما يتعلق بالقرار السياسي الخارجي

مدير التحرير خالد طافية ■ سكرتير التحرير حسنة الربيع ■ مجلس التحرير
عربيات دوليات إيلي شلموب، نفاضة بيار ابي صعب، مجتمع ضحك شمس،
رياضة علي صفا، محمد عمر نشابة، اقتصاد محمد زبيبة
المدير الفني امجد منعم

رئيس مجلس الإدارة والمدير المسؤول ابراهيم الامين
المكاتب بيروت - فردان - شارع حوتان - سنتر كونكورد - الطابق
السادس ■ تليفون: 01759597 01759500 ■ ص.ب 113/5963 ■
www.al-akhbar.com

الإعلانات Tree Ad 01/61115 03/252224
التوزيع شركة الواصلات 01/666314 03/828381

الاخبار

تأسست عام 1983
تصدرت شركة «أخبار بيروت»رئيس التحرير المؤسس
جوزف سمحانة
(2006-2007)مستشار مجلس التحرير
انسب الحاج